

(التفسير السببي للأسماء في الصحاح دراسةً وتحليلًا)

سعد خطاب عمر الجبوري

مديرية تربية صلاح الدين قسم تربية الشرقاط

(قدم للنشر في ٢٠٢١/٩/٣٠ قبل للنشر في ٢٠٢١/١١/٨)

الملخص :

إن تعدد المعجمات قد أفادنا؛ إذ سهل على الباحثين والقراء الكثير من التعقيدات، ووفر لهم الوقت، ووضع بين أيديهم المفردة وجذرها اللغوي، فنراها يُكَمَّل بعضها البعض الآخر حتى تصل إلى أقرب نقطة إلى الكمال من حيث الجمع والإحصاء، فضلا عن ذلك الاختلاف في جمع المادة وتبويبها ونقدها. وقد اختلف المؤلفون في إنعامهم النظر تجاه نص معين، فمنهم من نقل وبوب وجمع، ومنهم من نقل وبوب ونقد، فمن بين هؤلاء المعجميين الجوهري صاحب معجم (تاج اللغة وصحاح العربية) الذي اختصره الدارسون باسم (الصحاح)، هذا المعجم قد أقيمت عليه الكثير من الدراسات قديما وحديثا، لكنه ما زال ينبوعا وموردا صافيا لدراسات أخرى، وهذا ما دفع بنا لاختيار هذا العنوان إذ وجدت فيه ظاهرة لافتة للنظر ماثرة بين سطوره ألا وهي ظاهرة (التفسير السببي للأسماء) لكثير من الألفاظ دون غيرها، وقد يكون هذا أميل إلى العناية بالفلسفة والمنطق.

The causal interpretation of the names in the Sahih, a study and analysis

Saad Khattab Omar al-Jubouri

Salah Al-Din Education Directorate, Shirqat Education Department

ABSTRA

The multiplicity of dictionaries has benefited us, as we see them complementing each other until they reach the nearest point to perfection in terms of collection and statistics, as well as the difference in collecting, classifying and criticizing the material, the authors have differed in their consideration of a particular text, some of them transmitted and sufficed, and some of them transmitted and criticism.

Among these lexicographers is al – Gawhari, the author of a dictionary (Taj al – lughah and Sahih al- Arabiya), who is the author of a dictionary Scholars abbreviated it as (Al-Sahih), this dictionary has been based on many studies in the past.

And recently, but it is still a source and a net resource for other studies, and this is what prompted us to choose this title as I found in it an eye-catching phenomenon spread between its lines, which is (the cursing interpretation) of many of the words and not others, and this may be inclined to care about philosophy and logic.

As for the reasons, they are many, including caring for women and why they are called that, or following the moon's mansion, or being attached with wine, its colors and method of manufacture, and much more.

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

تبقى المعجمات العربية الناقل الحقيقي والأول لحياة المجتمع الذي وُجدت فيه، فهي الصورة الاجتماعية المتمثلة بالبيئة اللغوية، التي تمثل جزءًا كبيرًا من طبيعة العصر والمكان الذي عاش فيه هذا المؤلف أو ذلك.

إنّ تنوع المعجمات في التبويب والنقل والنقد أعطى الباحثين والدارسين مجالًا كبيرًا للوقوف على جمالية المفردات والنصوص، ومكن لهم الوقوف على بعض العثرات والهتات التي تفلتت من بين أيدي هؤلاء الباحثين، فلا يصل العمل إلى درجة الكمال إلا في الكتاب والسنة، فهما معصومان، مما منحنا طريقًا للولوج إلى تلك النصوص من أجل تقديم النقد بهدف الوصول إلى كمال العمل، ولا يقصد التسقيط والتقليل من شأنهم.

رؤية مؤلفي المعجمات قد تباينت تجاه ما خطته أقلامهم وما حوته بطون مؤلفاتهم، فمن بين هؤلاء المعجميين صاحب (تاج اللغة وصحاح العربية) فقد قال صاحبه في مقدمته: ((أما بعد فإنني قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة، التي شرف الله منزلتها، وجعل علم الدين والدنيا منوطًا بمعرفتها، على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم أغلب عليه)) فهو قد اختار ما صح عنده ضمن معاييرها الخاصة، فضلًا عن الترتيب المقسم على الأبواب والفصول، فهو بهذا الجمع يسهل على القارئ والباحث الحصول على مبتغاه.

هذا السُّفر قد وُضع تحت مجهر الباحثين والنقاد، مما جعله موردًا مغطًا لمن أراد أن يدلوه بدلوه فيه، فقد أقيم عليه الكثير من الدراسات، فمنها ما هو اختصار له، ومنها ما جعله أصلًا وأضاف عليه، فضلًا عن ذلك الدراسات الحديثة، فقد دُرِس في اللغات، وكلام العامة وغيرهما؛ لكنه ما زال أرضًا خصبة لمن لازمه وصاحبه، فعند تصفح هذا المعجم وجدت فيه ظاهرة بين سطوره ألا وهي ظاهرة (التفسير السببي) لكثير من للأسماء.

أما الأسباب التي نتجت عنها هذه المسميات، فهي كثيرة ومتنوعة، فمنها مسميات المرأة، ولماذا سميت بهذه التسمية، أو تتبّع منازل القمر، أو الخمر وما ينطوي تحتها من تسميات .

أما مضمون العمل، فقد جاء بعنوان (التفسير السببي للأسماء في الصحاح دراسة وتحليل)، وهذه الظاهرة لا تقل أهمية عن باقي ظواهر اللغة، ثم يليها ملخص للبحث، والمقدمة، ومن ثمّ تبويب هذه النصوص متسلسلة بحسب وُرودها في الصحاح، موزعة على شكل عنوانات رئيسة مستنبطة من التفسير السببي بين التسمية والتفسير الذي وُجد في النص سواء أكان للجوهري أم

كان مسبقاً إليه، مع التحليل لأي مسألة لغوية تدرج ضمن النص، وصولاً إلى الخاتمة، تليها الهوامش، وفي النهاية قائمة المصادر والمراجع.

نماذج من التفسير السببي للأسماء في الصحاح دراسة وتحليلاً

توطئة:

إن المادة اللغوية المتناثرة في المعجمات العربية تقدم ميداناً رحباً لمن أراد الغوص، وأراد إخراج تلك الدرر، ومما لا شك فيه أن الغاية الأولى التي ألفت لأجلها المعجمات، هي غاية دلالية، فمن هذا جاء موضوع بحثنا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بصورة أو بأخرى بعلم البلاغة بوجه عام، وبالمجاز المرسل بوجه خاص، الذي من إحدى علاقاته السببية، فمن هنا ارتأينا أن نضع عنوانات تتقدمها لفظة السببية، ثم تليها لفظة مستتبطة من سبب تسمية الشيء ومستوحاة منها:

سببية التبرئة:

قال الجوهري: "والبراء بالفتح: أول ليلة من الشهر، سميت بذلك لتبرؤ القمر من الشمس، وأما آخر يوم من الشهر فهو النُّحيرة"^(١).

فيما يبدو أن الأشهر القمرية كانت محط اهتمام عند العرب؛ وربما يعود السبب لما في ذلك من تعلق بالعبادة، وتدوين التاريخ، وغير ذلك.

بعد العودة إلى المعاجم العربية وكتب اللغة تبين لنا كيف كان الاختلاف بين العلماء، فهذا ابن قتيبة يقول: "والبراء: آخر ليلة من الشهر، سميت بذلك لتبرؤ القمر فيها من الشمس"^(٢).

ووافق ابن فارس في كتابيه (المقاييس والتلخيص)^(٣)، الاختلاف بين التسمية وسبب تفسيرها؛ لكن الاختلاف لم يذهب بعيداً، فكلاهما يدل على التبرئة، سواء أكان في أول الشهر أم في آخره.

سببية التبوئة والاستمكان:

قال الجوهري: "والبأءة مثال الباعّة، لغة في المباءة، ومنه سُمّي النكاح: بأء وبأءة، لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يستمكن منها، كما يتبوأ من داره"^(٤).

في هذا النص ظواهر لغوية متعددة، إذ نراه قد جاء بالمثل في قوله: (مثل الباعّة) ليوضح لنا وزن الكلمة، وربما جاء بهذه اللفظة بالتحديد لعلاقة المجاورة بين مخارج الحروف، أي بين الهمزة

والعين، والظاهرة الثانية تكمن في قوله: (لغة في المباءة)، وهذا دليل على استعمال هذه اللفظة — على الأرجح — في أكثر من لغة من لغات العرب المستعملات، وربما يكون لها لغة ثالثة وذلك عند تجريدها من (التاء) بقوله: (باء).

بعد العودة إلى المعجمات الأخر نجد من يقلل من القيمة اللغوية لهذه التسمية، وذلك يكمن في قول ابن دريد: "ومن ذلك الباءة التي يحسبها العامة النكاح وإنما هو من الرجوع إلى الشيء" (٥). المتفق عليه أن كلام العامة أقل مرتبةً من اللغة الفصيحة في معيار اللغويين، وفيما يبدو أن الأزهرى له رأي آخر وذلك في قوله: "عن الفراء: الباءة: النكاح، والهاء فيه زائدة. والناس يقولون: الباه. أبو العباس، عن ابن الأعرابي، قال: الباء، والباءة، والباه: مقولات كلها. ابن الأنباري: الباء: النكاح. يقال: فلان حريص على الباء، والباءة، والباه، بالهاء والقصر، أي: على النكاح" (٦). نراه قد أضاف مرادفاً آخر لهذه اللفظة بقوله: (والناس يقولون: الباه) رغم التحفظ على لفظة (الناس). وربما هذا ما يفضي بنا إلى الابتدال.

سببية الإرجاء والتأخير:

قال الجوهري: "أرجأت الأمر: أخرته، وقرئ: "وأخرون مرجؤون لأمر الله" (٧)، أي: مؤخرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد. ومنه سُميت المرجئة مثال: المرجعة. يقال: رجلٌ مرجئٌ، مثال: مرجع، والنسبة إليه مرجئٌ، مثال: مرجعي. هذا إذا همزت، فإذا لم تهمز قلت: رجلٌ مرجح، مثل: مُعطي، وهم المرجئة بالتشديد؛ لأن بعض العرب يقول: أرجيت، وأخطيت، وتوضيت، فلا يهمز" (٨).

نلاحظ كيف استطاع الجوهري أن يعضد سبب التسمية بإحدى القراءات القرآنية، وكيف اشتق لفظة (المرجئة) من الفعل المهموز اللام (أرجأ)؛ لكنه فتح باب الاختيار في الاستعمال بقوله: (فإذا لم تهمز قلت: رجلٌ مرجح، مثل: مُعطي) بعده ينتهي ب(الياء)، ولم يكتفِ في الاستشهاد بالقراءة القرآنية؛ بل جاء بقول العرب، وهذا من أكبر الأدلة على صحة الاستعمال، فالإبدال أمر وارد بين حروف العربية، ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض (٩).

نستطيع القول إن هذه الظاهرة، هي ظاهرة التخلص من الهمز، مثلما نتخلص من الحروف العسيرة والمركبة، تبعاً لنظرية السهولة والتيسير في النطق.

سببية التخصيص والانفراد:

قال الجوهري: "سبأت الخمر سباً ومسباً، إذا اشتريتها لتشربها. قال الشاعر (إبراهيم بن هرمة) (١٠):
يغلو بأيدي التجار مسبؤها

أي إنها من جودتها يعلو اشتراؤها. واستبأؤها مثله، ولا يقال ذلك إلا في الخمر خاصة، والاسم: السبَاء، على فعال بكسر الفاء. ومنه سُميت الخمرُ سَبِيئَةً^(١١) لا يأتي التخصيص بتسمية خاصة لشراء معينة لولا علو مكانتها عند من سماها، فالخمر نالت عناية عند العرب واهتماما يكاد يصل إلى القداسة، بدليل كثرة أسمائها وأوصفها وعمل صنعها وتعتيقها. يقول الصغاني: "ويسمون الخَمَار: السَّبَاء، فأما إذا اشتريتها لتحملها إلى بلد آخر قلت: سَبَيْتُ الخمر؛ بلا همز"^(١٢).

نلاحظ كيف بدا لنا الاختلاف واضحا بين من يشتري الخمر ليشربها ومن يشتريها لبييعها، نستشف مما سبق أن هنالك مفاضلة بين الحروف، فالهمز – على ما يبدو – أعلى مرتبة من حرف العلة (الياء)، إذا ما اعتمدنا النص السابق معيارا بين الحروف.

سببية التشبيه:

قال الجوهري: "والجَرَبَاءُ: السَّمَاءُ، سُمِّيَتْ بذلك لما فيها من الكواكب، كأنها جَرَبٌ لها"^(١٣). الناظر في هذا النص يجد المغزى هو الإظهار والنسوع، فالرسم قد يرسم منظرا طبيعيا؛ لكن عندما يضع لذلك المنظر خلفية تضادية سيبدو المنظر أكثر جمالا، وكأن المسألة معيارية ليظهر جمال الكواكب في السماء.

قال الأزهري: "عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: الْجَرَبَاءُ الْجَارِيَةُ الْمَلِيحَةُ، سُمِّيَتْ جَرَبَاءً؛ لِأَنَّ النِّسَاءَ يَنْفَرْنَ عَنْهَا لِنَقَبِجِهَا بِمَحَاسِنِهَا مُحَاسِنُهُنَّ. وَكَانَ لَعْقِيلُ بْنُ عُلْقَةَ الْمُرِّيُّ بِنْتُ يُقَالُ لَهَا الْجَرَبَاءُ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ"^(١٤).

نستطيع القول من خلال هذين النصين السابقين إن تشبيه السماء والجارية المليحة بالجرب لا يصلح إلا من باب الجمالية المركبة التي نشأت من خلال التمييز والمفاضلة بين الجميل وما هو دونه.

سببية العلو والرفعة:

قال الجوهري رواية عن الفراء: "قال الفراء: المحارِب: صُدُورُ المَجَالِسِ، ومنه سُمِّيَ مِحْرَابُ المسجد. والمِحْرَاب: العُرْفَةُ"^(١٥).

وجه الشبه يبيِّن بين صدر المجلس ومحراب المسجد، ألا وهي خصوصية المكان المرتبطة بالوجاهة والشرف، فالأولى يتصدرها الملوك أو الوجهاء والعلماء، والثانية مقامها الأنبياء أو الأئمة، قال ابن الأنباري: "قال أبو بكر: قال أبو عبيدة: المحراب عند العرب: سيّد المجالس، ومُقَدَّمُهَا، وأشرفها. وإنما قيل للقبلة محراب؛ لأنها أشرف موضع في المسجد. ويقال للقصر:

محراب؛ لأنه أشرف المنازل" (١٦)، وفي ذلك أيضا يقول الأزهري: "والمحراب مأوى الأسد، يُقال: دَخَلَ فُلَانٌ عَلَى الْأَسَدِ فِي مِحْرَابِهِ وَغِيْلِهِ وَعَرِينِهِ وَرَجُلٌ مِحْرَابٌ أَيْ مِحْرَابٌ لِعَدُوِّهِ. وَقِيلَ سُمِّيَ مِحْرَابُ الْإِمَامِ مِحْرَابًا؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ إِذَا قَامَ فِيهِ لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَلْحَنَ أَوْ يُخْطِئَ فَهُوَ خَائِفٌ مَكَانًا كَأَنَّهُ مَأْوَى الْأَسَدِ." (١٧).

يتضح من كل ما سبق أن لفظه (المحراب) من الألفاظ الخاصة، إذ من غير الممكن أن تستعمل في غير ما وُضعت له، كالمعابد أو القصور، أو مكان الأسد، وإذا ما عدنا إلى القرآن الكريم سنجد أنها قد وُضعت في مقامات كريمة، قال تعالى: "كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا" (آل عمران: ٣٧).

فالمحراب هنا هو المَعْبُد الذي ينقطع فيه العابد للعبادة، فضلا عن ذلك كيف حَلَّت البركة فيه من حيث وجود رزق يجيء بلا تعب ولا كدِّ بقدرَةِ اللَّهِ، وفي غير أوانه.

سببية اللون:

قال الجوهرى: "والأحقب: حمار الوحش، سُمِّيَ بذلك لبياضٍ في حَقْوِيهِ، والانثى حقباء" (١٨). جعل الجوهرى اللون الأبيض في منطقة الخَصْر؛ لكن التتبع لهذه التسمية منذ بداية نشأتها يجد أن الخليل له رأيان: رأيٌّ ضارِع به الجوهرى، وآخر يبعد كل البعد عن ذلك حيث قال: "والأحقب: حِمَارُ الْوَحْشِ لَبِيَّاضِ حَقْوِيهِ، وَيُقَالُ: بِلِ سُمِّيَ لِدِقَّةِ حَقْوِيهِ، وَالْأُنْثَى حَقْبَاء" (١٩). نراه قد ذهب إلى الخِلْفَةِ، وكما هو معروف عن دقة الخصر أنها تدل على رشاقة الجسم، وجماليته وقوته.

سببية المنح والعطاء

قال الجوهرى: "والرَّيَابُ، بالفتح: سحابٌ أبيضٌ، ويقال: إنه السحابُ الذى تراه كأنه دونَ السحابِ، قد يكون أبيضٌ وقد يكون أسودَ، الواحدة ربابة. وبه سُمِّيَتِ الْمَرْأَةُ الرَّيَابُ" (٢٠). قد شاب التسمية في أصلها اختلاف، فهو يقول: سحاب أبيضٌ ثم يتبع ذلك بقوله: ويقال إنه السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب، ربما قصد به السراب، أو الصورة غير الحقيقية. قال ابن سلام: "الرَّيَابَةُ الْبَيْضَاءُ فَإِنَّهَا السَّحَابَةُ الَّتِي قَدْ رَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَجَمَعَهَا رِيَابٌ وَبِهِ سُمِّيَتِ الْمَرْأَةُ الرَّيَابُ." (٢١).

فالنص هنا فيه معنى التراكم، وبهذا نصل إلى أمرين: أولهما الجود والعطاء، فالسحاب المتراكم؛ بل وغير المتراكم – على الأغلب – يدل على وفرة الماء الذي يحمله، وخاصة إذا ما كان

السحاب أسود، أما كان السحاب أبيض، فهذا دليل على الجمالية والنقاء، وكذا الحال في المرأة فهي رمز للعتاء والنقاء، فهذا وجه الشبه بينهما.

سببية الهيبة والتعظيم:

قال الجوهري: "رَجِبْتُهُ بالكسر، أي هَبَيْتُهُ وَعَظَّمْتُهُ، فهو مَرْجُوبٌ. ومنه سُمِّيَ رَجَبٌ؛ لأنهم كانوا يعظّمونه في الجاهلية ولا يستحلّون فيه القتال. وإنما قيل رَجَبٌ مُضَرٌّ؛ لأنهم كانوا أشدَّ تعظيماً له. والجمع أَرْجَابٌ" (٢٢).

اتفق أغلب اللغويون على أنه من الهيبة والتعظيم، وأضاف آخرون أسباباً أُخَر، إذ قال محمد الأصبهاني: "وأما شَهْرُ رَجَبٍ فقد قيل: سُمِّيَ به؛ لأنَّهُ كان يُرَجَّبُ: أي يُعَظَّمُ، أو كان يُرَجَّبُ: أي يُهَابُ. يقال: رَجَبْتَهُ: هَبَيْتُهُ واستَحْيَيْتُ منه. والرَّجَبُ: الحَيَاءُ والعِفَّةُ" (٢٣).

تجلى لنا في هذا النص أن رجب يشتمل على الحياء والعفة، وقال ابن شرف النووي: "قال النَّحَّاسُ وَقَالَ المبرد سمي رجباً؛ لأنَّهُ في وسط السَّنَةِ، لِأَنَّهُ مُشْتَقٌّ من الرواجب" (٢٤). ربما هنا ليكون حلقة بين فصول السنة، ومن هنا تأتي أهميته.

سببية البعد والتفريق:

قال الجوهري: "والشَّعْبَةُ أيضاً: الفُرْقَةُ، تقول: شَعَبْتَهُمُ المَنِيَّةُ، أي فَرَّقْتَهُمْ. ومنه سُمِّيَتِ المنيَّةُ شَعُوبٌ، لأنها تُفَرِّقُ. وهي مَعْرِفَةٌ لا تدخلها الألف واللام" (٢٥).

قال الخليل: "وشَعَبَ الرجل أمره: فَرَّقَهُ. قال الخليل: هذا من عجائب الكلام ووسع اللغة والعربية أن يكون الشعب تفرقا، ويكون اجتماعاً" (٢٦).

تعجب الخليل من مرونة اللغة العربية وسعتها، وهذا بين من كلامه، فقد لاحظ هذه اللفظة وكيف تحمل معنيين متضادين.

سببية المشابهة:

قال الجوهري: "والمُضْعَبُ: الفحل، وبه سُمِّيَ الرجل مُضْعَباً" (٢٧).

فيما يبدو أن هذه الصفة قد وُضعت في أول أمرها لأمر معين ألا وهو الفحولة خاصة، ومن ثم فارق الوصف موصوفه، وحلَّ مكانه، وانتزع معناه، مكتسبا بعد ذلك منزلة الأسماء، ومثل هذا كثير في اللغة، كما في قوله تعالى: " لينذر بأسا شديداً" (الكهف:٢)، ففي هذه الآية قد حذف الموصوف وبقيت الصفة لتحل محله، على اعتبار (لينذر قوماً بأساً شديداً). فضلا عن ذلك لما

تحتويه من حروف، ففيها الصاد والباء، فهذان الحرفان هما من أعطيا لتلك اللفظة القوة والفظاظة، لما في (الصاد) من الوضوح، ولما في (الباء) من الشدة.

سببية الامتزاج بين الألوان:

قال الجوهري: "الضُهْبَةُ: الشُّقْرَةُ في شَعْرِ الرَّأْسِ، وهي الضُّهُوبَةُ. والرجل أَضْهَبُ. وَالصَّهْبَاءُ: الخمر، سُمِّيَتْ بذلك لَوْنِهَا"^(٢٨).

قد اعتنى الجوهري بمسألة اللون تاركاً تصنيعها أو تعتيقها؛ لكن الأمر يختلف إذا ما عدنا إلى قول ابن السكيت، فهو يقول: "والصهباء قال الأصمعي: هي التي عصرت من عنب أبيض. وقال غيره: الصهباء تكون من عنب أبيض وغيره. وذلك إذا ضربت إلى البياض."^(٢٩).

نلاحظ في النص كيف استغنى ابن السكيت عن لفظة (الخمر) بذكر صفتها، ربما لشهرتها تحولت الصفة إلى اسم مرادف ليوضع في قائمة أسماء الخمر، أو هي نوع من أنواعها، ولا فائدة من أن تذكر الخمر معها، فضلا عن ذلك نجده قد اعتنى بمكوناتها، أهي من عنب أسود أم هي من عنب أبيض، ناقلا قول الأصمعي الذي وُصف من المتشددین من علماء اللغة، فهو لا يتعامل إلا بالجميل والأجود.

سببية النقاء والصفاء:

قال الجوهري: "والْحَسْبُ اللَّبَابُ: الخالص، ومنه سُمِّيَتْ المرأة لُبَابَةً"^(٣٠).

بعد تقصي أثر هذا النص في المعاجم العربية، تجلّى لنا أن الرابط بين هذا التركيب (والْحَسْبُ اللَّبَابُ) وتسمية المرأة بـ(اللابة) هو من النواتج التفسيرية التي ظهرت في القرن الرابع^(٣١)، إذ لم نجد من يربط بين هاتين التسميتين قبل هذا العصر، قد يكون هذا ضمن الكثير من التراكم اللغوية التي خضعت لعوامل التأثير والتأثر بالفلسفة وعلم الكلام وغيرها مما أقحم في لغتنا الفصحى.

سببية التقابل

قال الجوهري: "التَّنَاوُحُ: التقابل. يقال: الجبلان يتناوحيان. ومنه سُمِّيَتْ النَّوَائِحُ؛ لأن بعضهنَّ يقابل بعضاً"^(٣٢).

نجد أن لفظة (التناوح) على وزن (تفاعل) وهذه هي إحدى صيغ المشاركة، وهذا من باب الاتساع والتجديد في اللغة، إذ يصح أن تنقل التسميات إذا كان هنالك أوجه شبه غير ملبس بين صورتين، يقول ابن قتيبة: "يقال: الجبلان يتناوحيان، إذا تقابلا، وكذلك الشجر" (٣٣). يجوز أن تطلق لفظة (التناوح) على كل متقابلين، فهي لم تقتصر على الجبلين المتقابلين أو النوايح من النساء، فقد استعملت في الأشجار المتقابلة. فتح اللغويون باب القياس، فجاز لكل لغوي أن يستعمل لفظة (التناوح) فيما رأى من وجه شبه بين ما رأى والصورة الأولى.

سببية الشدة والقوة:

قال الجوهري: "الصَّاخَّةُ: الصَّيْحَةُ تصمُّ لشِدَّتِها. تقول: صَحَّ الصوت الأذنَّ يَصْخُها صَخًا. ومنه سميت القيامة: الصَّاخَّةُ" (٣٤). تركيب اللفظة يدل على الشدة والقوة من خلال ما تحويه من حروف، فالصاد والخاء المشدودتان قد اجتمعتا ليدلا على ما تدل عليه تلك اللفظة من هول وفزع، وما بعدها تبدأ بمرحلة صمَّ الأذن (الطرش) وتنتهي بما لا يعلمه إلا الله. يقول ابن دريد: "والصَّاخَّة، تقول: سمعت صَخِيخَ الحجر، إذا صَرَبْتَه بِحجرٍ آخر، وأحسب أن الصَّاخَّةَ الَّتِي فِي التَّنْزِيلِ مِنْ هَذَا الصَّوْتِ أَوْ شِدَّةِ الوَقْعِ" (٣٥). استطاع ابن دريد أن يقرب الصورة قليلا بين الصاخة وصخيخ الحجر إذا ضرب بعضه ببعض؛ لكنَّ الحقيقةَ أبعدُ من ذلك بكثير، فشتان بين فعل الإنسان الذي يضرب حجرا بحجر، وفعل القوي المتين الذي يستطيع أن يضرب الكواكب ببعضها بين حرفي الكاف والنون.

سببية المعاشية:

قال الجوهري: "وأجبادُ: جبلٌ بمكة، سمي بذلك لموضع خيل تبع، وسمى فُعيقانَ لموضع سلاحه" (٣٦).

فيما يبدو أن الجوهري أول من ربط بين التسمية والسبب، وهذا يقودنا إلى أمرين: الأمر الأول وهو دليل على أن الجوهري لم تقتصر عنايته بالمسائل اللغوية فحسب؛ بل كانت لديه رؤية تاريخية، فلاحظ العلاقة بين المكان ومن كان يقطنه، وكيف كانت علاقتهم بساسة الخيل وتربيتها، أما الأمر الثاني - وهو الأغلب - فهو ليضع بصمة تتغاير مع من سبقه من أصحاب المعاجم، وهذا ما يتناسق مع منهجه في صحاحه الذي أودع فيه ما صح عنده من اللغة، كما أشار إلى ذلك في مقدمة معجمه.

أما تسمية (قعيقان) فيقول ابن دريد فيها: "وقعيقان: موضع بمكة زعم ابن الكلبي وغيره من أصحاب الأخبار أنه سمي بذلك؛ لأن جرههم وقطوراء لما تحاربوا بمكة فقعقت السلاح في ذلك الموضع فسُمي قعيقان" (٣٧).

جاءت صيغة (قعيقان) محتوية على حرفين قد تكرر، وهذا التكرار لحرفي (القاف) و(العين) قد تناسق مع القوة الدلالية لهذه اللفظة، التي تتسجم مع طبيعة الحرب لما فيها من بأس واضطراب. فضلا عن احتوائها على المقطع الطويل (الألف والنون)، الذي من دلالاته الهيجان والغليان، وبذلك يشكل هذا التركيب (قعيقان) صورة حقيقية مصغرة عن القتال وما يجري فيه.

سببية الثبات الوقتي:

قال الجوهري: "والقُدُّ أيضًا: السَّوَارُ المَفْتُولُ من فضةٍ. والقُدُّ بالكسر: يومٌ تأتي فيه الرِّبْعُ. ومنه سُمِّيَت قوافل جُدَّة إلى مكة قُلْدًا" (٣٨).

يتبين لنا أن العلاقة بين هذين التركيبين هو الوقت المحدد، فالحمى (المرض المعروف) لها موعدها المحدد، وكذلك القوافل لها وقتها، فكلاهما قد حافظ على ثباته واستقراره، وبذلك قد اشتركا في هذه التسمية، وثمة رابط آخر بينهما وبين إحدى معاني (القُدُّ) ألا وهو السوار المَفْتُول، فالسوار يدل على الإحكام، والقتل يدل على الانضباط، ومن اللغويين من أخرج هذه اللفظة (القُدُّ) من دائرة الحقيقة إلى دائرة المجاز، يقول الزبيدي: "من المَجَاز (القُدُّ، بالكسر: قَوَافِلُ مَكَّة) المُشْرِفَةِ (إلى جُدَّة)، سُمِّيَت قُلْدًا بِمَا بَعْدَهُ" (٣٩).

سببية العظمة والرزانة:

قال الجوهري: "والأقودُ من الرجال: الشديذُ العُنُق، سُمِّيَ بذلك لِقَلَّةِ التقاته. ومنه قيل للبخيل على الزاد أقودُ، لأنه لا يتلَفَّت عند الأكل لئلا يرى إنسانًا فيحتاج أن يدعو" (٤٠).

على الأغلب أن هذه سمة من السمات الحسنة، ولا سيما في الرجولة، فهي للدلالة على الرزانة، ثم انبثق من تلك اللفظة دلالة جديدة؛ لكنها قد ارتبطت بالزاد وملازمته، انخرقت بها لتكون مثلبة يتسم بها الرجل الذي لا يلتفت عند طعامه؛ لكن الناظر في النصوص الموجودة في المعاجم السابقة يجد لها دلالات أخر وإن جردت من التفسير السببي، قال الخليل: "والأقودُ من الدواب والإبل: الطويل القرى والعنق، ومن الناس: الذي إذا أقبل على شيء لم يكذب بصرف وجهه عنه" (٤١).

اتخذت لفظة (الأقود) مسارًا جديدًا، ففي بادئ أمرها كانت تدل على العموم، ومن ثمَّ اتجهت نحو الخصوص مرتبطة بطبيعة الاستعمال، فالدلالات في لغتنا وليدة الاستعمال والملاحظة.

سببية المكر والخديعة:

قال الجوهري: "الكَيْدُ: المكرُ. كادَهُ يَكِيدُهُ كَيْدًا وَمَكِيدَةً. وكذلك المَكَايِدَةُ. وربّما سُمِّيَ الحربُ كَيْدًا" (٤٢).

استعمل الجوهري لفظة (ربما) وهذا يدل على أن هذا الحكم محاط بالمرونة، لما في هذه الأداة من الاحتمالية، وبهذا ينأى بنفسه إذا ما وجد أحد أن هذه التسمية من التسميات الخاطئة، ولا تصلح في هذا الاستعمال، ولكن البحث والنقضي يقر بصواب تلك التسمية، يقول الخليل: "والكيد في الحرب حلال" (٤٣). ومنها قولهم الحرب مكيدة؛ لأنها تدبير ومعالجة تتطلبها مواقف القتال، وقد تدم أحيانا في هذه المواقف كما تدم في سواها (٤٤)، فالحرب تتعلق قضيتها بالفناء والبقاء، وربما تتعدى ذلك فقد تتعلق بالدين والعقيدة، فما دام الأمر كذلك فالمكر والكيد والكر والفر والخيلاء، كل ذلك من لوازم الحرب، فلا ضير إذا سُمي الشيء بإحدى لوازمه، وهذا ما تقره البلاغة العربية.

سببية العمق والاتساع:

قال الجوهري: "البَحْرُ: خلاف البرِّ. يقال: سَمِيَ بحرًا لعمقه واتساعه. والجمع أَبْحُرٌ وبِحَارٌ وبُحُورٌ. وكلُّ نهرٍ عظيمٍ بَحْرٌ." (٤٥).

من اتساعات الاستعمال قد وجدنا أن لفظة (البحر) قد تخرج من معناها الحقيقي إلى معنى مجازي لعلاقة بينهما، نقول: فلان بحر في العلم أو الكرم، ومنه الحديث: "أبى ذلك البحر ابن عباس رضي الله عنهما" (٤٦) سَمِيَ بَحْرًا لِسَعَةِ عِلْمِهِ وَكَثْرَتِهِ. فالبحر والعالم والكريم كلهم رموز للطاء وبث الحياة والتجدد، لما فيها من إصلاح في النفوس والأجساد والحياة الاجتماعية.

وقد تخرج لفظة (البحر) عما سبق على وجه المجاز، قال الزبيدي: "ومن المَجَاز: البَحْرُ: (الْفَرَسُ الْجَوَادُ) الواسعُ الجَرِي، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنْدُوبِ فَرَسِ أَبِي طَلْحَةَ وَقَدْ رَكِبَهُ عُرْيَا: "إِنِّي وَجَدْتُهُ بَحْرًا" (٤٧) أَي وَاسِعُ الْجَرِيِّ... قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: فَرَسٌ بَحْرٌ وَفَيْضٌ وَسَكْبٌ وَحَتٌّ، إِذَا كَانَ جَوَادًا، كَثِيرَ الْعَدُوِّ" (٤٨)

جاءت كلمة (بحر) في النص السابق لتدل على الغزارة والحيوية والنشاط، ولتكون مرادفًا للفيض والسكب والحت.

سببية التعجيل والتتميم:

قال الجوهري: "ويسمى بَدْرًا لمبادرته الشمس بالطلوع، كأنه يعجلها المغيب. ويقال: سَمِيَ بَدْرًا لتمامه. وأَبْدَرْنَا فنحن مُبْدِرُونَ، إِذَا طَلَعَ لَنَا الْبَدْرُ" (٤٩).

قد يطلق البدر على كل شيء بدأ ونضج واكتمل، وهذه المراحل تحتاج إلى مرحلة أخرى لتكتمل دورتها ألا وهي مرحلة الظهور والبروز، فالبدر يتدافع مع الشمس ليظهر جماله وزينته ناسيًا

ماتمه من شعاع وطاقة؛ إذ لولا شعاعها لما ظهر وبان، ولولا اختفاؤها لما بان وظهر جماله، قال أبو علي: "أظنهم يقولون: أبرد القمر: صار بدرًا. ويقال: غلام بدر: إذا امتلأ شابًا قبل أن يحلم" (٥٠). فالغلام إذا امتلأ جسمه وفتلت عظامه اتجه نحو مرحلة الظهور والبروز. فالرابط بين البدر والغلام هو التعجيل والبروز.

يقول الزبيدي: "والبدر: السيد، يقال: هو بدر القوم، أي سيدهم، على التشبيه بالبدر" (٥١). يظهر البدر بين النجوم وكأنه أكبرهن من حيث الحجم، أما السيد فهو أكثر إدراكا في بواطن الأمور بالنسبة للرعية التي يتسيدها. فوجه الشبه بينهما معياري.

سببية التشويق:

قال الجوهري: "وبطرت الشيء أبطره بطرا: شققته، ومنه سمي البيطار وهو المبيطر" (٥٢). اتفق أغلب المعجميين على أن الذي يعالج الدواب من خلال الشق والتجريح هو البيطار (٥٣). هذه هي التسمية الغالبة عندهم؛ لكن البيطار قد يعالج بعلاجات أخر كالدهونات والعقاقير أو التمارين.

سببية الاشتقاق:

قال الجوهري: "الجزور من الإبل يقع على الذكر والأنثى. وهي تؤنث، والجمع الجرر. والجزارة: أطراف البعير: اليدان والرجلان والرأس، سميت بذلك لأن الجزار يأخذها، فهي جزارتها، كما يقال: أخذ العامل عمالته" (٥٤).

يبدو أن صيغة (الجزارة) قد اشتقت من (الجزور) وهذا من باب الاتساع في اللغة، وهي إحدى وسائل المرونة التي تتسم بها اللغة العربية، قال الخليل: "والجزارة: اليدان والرجلان والعنق، سميت بها لأنها لا تقسم في سهام الجزور" (٥٥).

اتفق الخليل والجوهري في عمالة الجزار، واختلفا قليلا فيما يندرج تحته، فقد خص الجوهري الرأس مع الأطراف، وخص الخليل العنق مع الأطراف، وقد ينوب كل واحد منهما مناب الآخر من باب المجاز.

سببية الانفصال:

قال الجوهري: "والجزيرة: واحدة جزائر البحر، سميت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض" (٥٦).

اتفق ابن دريد وابن سيده^(٥٧) مع الجوهري من حيث التسمية والسبب، واتفق معهم صاحب كتاب شمس العلوم من حيث التسمية، واختلف معهم من حيث السبب، فهو يقول: "الجزيرة: واحدة جزائر البحار، وهي أرض ينفرج عنها ماء البحر فتبدو، وسميت جزيرة لانقطاعها عن معظم الماء. وكل أرض لا يعلوها السيل ويحرق بها الماء فهي جزيرة. وجزيرة العرب: مَحَلَّتْهَا، سميت جزيرة؛ لأن بحر فارس وبحر الحبش والفرات ودجلة قد أحاطت بها"^(٥٨).

اختلف تكوين الجزيرة عند المعجميين الأوائل، فهي عندهم التي انفصلت بالماء عن اليابسة من جميع جهاتها، أما عند صاحب كتاب شمس العلوم، هي الأرض التي غمرت بالماء ثم انكشف عنها.

سببية التأسيس والإنشاء:

قال الجوهري: "وَحْرَانُ: بلد بالجزيرة، يقال: إن حَرَّانَ بناها هَارَانُ بن لُوط، وبها سميت. فعلى هذا الاسم مُعَرَّبٌ وليس بعربي محض. هذا إن كان فَعْلَان فهو من هذا الباب، وإن كان فَعَّالاً فهو من باب النون"^(٥٩).

أجري على هذه اللفظة (هاران) أكثر من تغيير لكي تلحق بركب العربية، فقد أبدلت الهاء حاء، فكلاهما حرف حلقي، والإبدال بينهما كثير في اللغة العربية، ومن ثمَّ تقصير الصوت الطويل (الألف) إلى صوت قصير (الفتح)، فالفرق بينهما في الكمية الصوتية، وقد يكون التشديد على صوت (الراء) هو من باب العوض، وكل كلمة أعجمية دخلت في مفردات لغتنا واستعملت لا تسمى مُعَرَّبَةً إلا وقد أجري تغيير على بعض أصواتها، وقد أكد ابن بري أن هذه من الكلمات المعربة^(٦٠).

أما عن سبب التسمية، فلا ضير أن تسمى المدينة باسم بانيها، وهذا أمر مُسَلَّمٌ به.

سببية الموصوف:

قال الجوهري: "حَصَاجِرُ: الضَّبُعُ، سميت بذلك لِعِظَمِ بَطْنِهَا. وهو معرفة"^(٦١). سأقف قليلاً على طبيعة هذا المفترس، ولماذا حُصِّصَ بهذه الصفة، الناظر إلى شكله، والمتتبع طبيعة حياته، يجد أنه حيوان أكل لا يترك شيئاً بعده، وكأنه يمتلك بطناً مطاطية، كلما وضع فيها تتسع، وهو حيوان يعتمد على غيره في حصوله على طعامه، وانتهازي يختار الوقت المناسب ليسرق الفريسة من صائدها، فقليلاً جداً ما يصطاد بنفسه، إن لم يكن نادراً، فهذا هو لا يحتاج إلى رشاقة الجسم التي تساعد على العدو، وقد جاءت التسمية منسجمة مع طبيعته وشكله.

سببية المنع والحظر:

قال الجوهري: "ويقال للرجل القليل الخير: إنّه لَنَكْدُ الحظيرة. قال أبو عبيد: أراه سمّي أمواله حظيرةً؛ لأنه حظرها عنده ومنعها. وهي فعلية بمعنى مفعولة" (٦٢).

أظهر التلازم بين المضاف(نكد) والمضاف إليه(الحظيرة) تركيباً قوياً للدلالة على الشؤم واللؤم، فمن معاني(النكد) الشُّخْ، ومعنى (الحظر) هو المنع، وكأن اللفظة قد أضيفت إلى نفسها بلباس آخر، ومثل هذا وارد في اللغة، قال تعالى: [ولا تعثوا في الأرض مفسدين] (البقرة: ٦٠). وقف الجوهري وقفة المتفرج على قول أبي عبيد، فلم يبيد رأياً ولا حكماً إلا في القضية الصرفية بقوله: فعيلة بمعنى مفعولة، قال أبو هلال العسكري: "والحظيرة بِمَعْنَى المحظورة" (٦٣).

مسألة النياحة بين الصيغ واردة في المسموع من كلام العرب، ولا سيما المشهور منها.

سببية الترك والتخمير:

قال الجوهري: "يقال خَمْرَةٌ صِرْفٌ. قال ابن الأعرابي سميت الخمرُ خَمْرًا؛ لأنها تُرَكَّتْ فاختمرت، واختمارها: تغير ريحها. ويقال: سُمِّيتَ بذلك لمُخَامَرَتِهَا العُقْل" (٦٤).

العناية بأمر معين لا يأتي من الفراغ؛ بل مما تعلق به الناس في زمانهم، وبالأخص في عصر ما قبل الإسلام، وهذه واحدة من صور البيئة الاجتماعية التي ينقلها المعجم بصورته اللغوية الرمزية، بغض النظر عما تحمله من تأثيرات سلوكية، سواء أسلبية كانت أم إيجابية، فالخمر من أولى الأولويات كانت عندهم، ولهذا تعددت أسماءها وكثرت صفاتها، جاء في كتاب شمس العلوم "وبعض العرب يسمي العنب خمرًا؛ لأنها تعصر منه وحكى الأصمعي: قيل لرجل حميري معه عنب: ما معك؟ قال: خمر. وعلى هذا فسر بعض المفسرين قوله تعالى: "إِنِّي أَرَأِي أَعْصِرُ خَمْرًا" (يوسف: ٣٦): أي عنبًا" (٦٥).

نلاحظ في هذا النص كيف حاكى القرآن العرب بلغة إحدى القبائل العربية المعروفة، وهذا تشريف - دون شك - لها، فضلا عن ذلك أن القرآن - على عظم قدره وعلو منزلته - قد تناول هذه اللفظة بطريقة المجاز المرسل في إحدى علاقاته.

يقول محيي الدين درويش: "سميت الخمر بالمصدر من خمره خمرًا إذا ستره للمبالغة في تضييعها للعقول وسترها وإخفائها. وقيل: إنما سميت الخمر خمرًا؛ لأنها تركت حتى أدركت، يقال: اختمر العجين أي بلغ إدراكه، وقيل: إنما سميت الخمر خمرًا؛ لأنها تخالط العقل، من المخامرة وهي المخالطة، وهذه المعاني الثلاثة متقاربة موجودة في الخمر، وهذا موجز لبعض أسماء الخمر" (٦٦).

فيما يبدو أن مجيء الخمر بصيغة المصدر جاءت للمبالغة، وهذا أيضًا يعد من العناية والاهتمام بها، فضلًا عن ذلك إضافته إسبابًا آخر لتبين لنا مجيء هذه التسمية بهذه الصيغة دون غيرها.

سببية الدمامة:

قال الجوهري: "قال الفراء: الزَّبَعْرَى: السَّيِّءُ الخُلُقِ، ومنه سَمِيَ الرجل الكثيرُ شعرُ الوَجْهِ والحاجبين واللَّحْيَيْنِ. وجمَلٌ زبَعْرَى كذلك. وأبو عمرو مثله" (٦٧).

ثمة أكثر من ملحظ على النص، أولها: بدأ الجوهري نصه بقول الفراء، مؤكداً قوله برأي أبي عمر معضداً ما ينقل، وثانيها: نقل استعمال اللفظة من الخاص إلى العام، وجعلها تستعمل في الناس والدواب، وثالثها: هو اجتماع سوء الطبع وسوء المنظر، لتتضح لنا الهيئة عن تناسق تام بين الخُلُقِ والخَلْقَةِ من حيث الدمامة، وبهذا تتسجم التسمية وسبب تكوينها. أضاف (ابن دريد) لمحتين آخرين على كل ما سبق بقوله: "زَبَعْرَى: ضخم كثير شعرُ الوَجْهِ والقفا" (٦٨). أضاف صفتين دميمتين، ألا وهما الضخامة، وكثاثة شعر القفا، فهذا تكتمل الصورة لتصل إلى النضج في القبح واللؤم.

سببية الاستعمال:

قال الجوهري: "والسُّفْرَةُ بالضم: طعامٌ يُتَّخَذُ للمسافر. ومنه سَمِيَتْ السُّفْرَةُ" (٦٩).

فيما يبدو أن تسمية (السُّفْرَةُ) وُضِعَتْ في أول أمرها للطعام الذي يُتَّخَذُ للمسافر، وعندما شاعت وكثُر تداولها بهذا المعنى حطت رحالها لتستقر بعد ذلك على قطعة القماش، أو الجلد الذي يُوضَع عليه طعام المسافر أو المقيم، فالعلاقة بينهما علاقة تلازمية.

سببية التسفير والكنس:

قال الجوهري: "والسَّفِيرُ: ما سَقَطَ من ورق الشجر وتَحَاتَّ. يقال: إِنَّمَا سَمِيَ سَفِيرًا؛ لأنَّ الرِّيحَ تَسْفِرُهُ، أي تَكْنُسُهُ" (٧٠).

وُضِعَتْ تسمية (السفير) في أول أمرها للشيء المُجْبَر، فإذا ما عدنا إلى ورق الشجر الميت، أو شِبْه الميت، سنجد أنه مما انتهى دوره وانقضت منفعته، فجاءته الرِّيح لتكنسه من مكانه؛ لكنَّ اللفظة اتخذت مسارًا آخر في عصرنا الحاضر، فالسفير اليوم هو المنتقى ليمثل بلدًا مُعِينًا من بلدان العالم، لكن تبقى هنالك خيوط رابطة بين المعنيين، ألا وهي كلاهما السفر والمغادرة إلى موضع جديد.

وقد جاء في شرح النفاضة: قال: السفير: المصلح بين القوم، يقول لم يقدر السفير أن يصلح بينهم؛ لأن الحرب قد اشتدت وذهب الصلح بينهم. قال أبو عبد الله إنما سمي السفير سفيرا؛ لأنه يسفر ما في أنفس القوم بينهم" (٧١).

من الواضح في النص أن لفظة (السفير) أعطت معنى جديداً وهو المصلح، فضلا عن إضافة سبب آخر لتكوين كلمة السفير، وهو إظهار معادن الرجال وما تُكُنُّه صدورهم.

سببية العبور والتجاوز:

قال الجوهري: "والشُعْرَى العَبُورُ: إحدى الشُعْرَيْنِ، وهي التي خَلَفَ الجوزاء، سَمَّيت بذلك؛ لأنها عَبَرَتِ المَجْرَةَ" (٧٢).

أرى أن مثل هذه التسميات أُسِّسَتْ على الظن والتخمين، وهذا ما يتنافى مع العمل العلمي الدقيق؛ لكن لا ننسى أن العرب وغيرهم قد استفادوا من النجوم، ولاسيما الثابتة منها، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: "وبالنجم هم يهتدون" (النحل ١٦).

قال الأزهري: "وهما شعريان. إِحْدَاهُمَا العُغْمِيضَاءُ، وهُوَ أحد كوكبي الذراعين. وَأَمَّا العَبُورُ فَهِيَ مَعَ الجوزاء تكون نيرة. سَمَّيت عُبُورًا؛ لِأَنَّهَا عَبَرَتِ المَجْرَةَ وَهِيَ شَامِيَةٌ. وتزعم العَرَبُ أَنَّ الأُخْرَى بَكَت على أَثْرهَا حَتَّى غَمِصَتْ فَسَمَّيت العُغْمِيضَاءُ" (٧٣).

اعتري النصُّ أكثر من ملحظ، فمنها ما نجده قد اتفق مع الجوهري في سبب تسمية (العَبُور)، ومنها أيضًا قد أضاف جملة (وهي شامية)، قد يقصد بها أنها لغة شامية، أي أنها من الاستعمالات اللغوية الخاصة بأهل الشام، وآخر الملاحظ استعماله لفظة (تزعم)، وهذا ما يؤيد كلامنا على أن هذه التسميات وأسبابها كله من قبيل الحدس والتخمين.

سببية الحَبْسِ والمُعَاقَرَة:

قال الجوهري: "والعُقَار بالضم: الحَمْر، سَمَّيت بذلك؛ لأنها عَاقَرَتِ العَقْلَ، عن أبي نصر، أو عَاقَرَتِ الدَّنَّ، أي لازمتها، عن أبي عمرو. وأصلها من عُقِرَ الحوض" (٧٤).

نجده في التسمية الأولى قد اعتمد رأي أبي نصر، ثم استعمل أداة التخيير (أو) ثم جاء برأي أبي عمرو ليضع القارئ أمام سببين في تسمية (العُقَار) دون ترجيح لأحدهما، ربما لإثارة القارئ أو الباحث لتقصي الحقيقة والبت في أمرها، ثم عرَّج على النص بقوله: "وأصلها من عُقِرَ الحوض" معتمدا على إحدى دلالات (العُقَر) التي هي أصل الشيء، وقد يقترب هذا الرأي من رأي أبي عمرو، وأقول في الرأي الأول؛ لأنها (الخمرة) قطعت أواصر التواصل بين العقل وباقي أعضاء

الجسم انقطاعا تاما أو شبه تام، ولهذا يكون الثَّمَل في سرور وابتهاج وإن كان مريضا أو مهموما.

وأما في رأي أبي عمرو، فأقول إن الرابط بين التسمية والسبب هو الملازمة، وكلما لازمتِ الخمر الدَّنَّ ازداد تعتيقها وأصبحت أكثر فاعلية والدَّ طعما.

الخاتمة:

_ تعد ظاهرة (التفسير السببي للأسماء) ظاهرة واضحة وجلية، شأنها شأن التغليب أو الترادف وغيرهما من الظواهر في المعجمات العربية.

_ حاول البحث تلمسَ الخيوط الرابطة بين التسمية وأسباب نشأتها، مع بيان بعض الآراء التي تقرب هذا الترابط أو تميل نحو رأي آخر.

_ أبان لنا البحث عن كثرة الأسباب في الصحاح ومعجمات القرن الرابع — من حيث العدد — إذا ما قورنت بالمعجمات السابقة لها بشكل لافت للنظر.

_ كشف لنا البحث اعتناء الجوهري بالأسباب والعلل، وهذا — على الأغلب — نتاج التأثير والتأثير بعلمي الكلام والمنطق اللذين انتشرا في تلك الحقبة.

_ نقل الجوهري لمعظم اللغويين السابقين نقلا حرفيا دون أي تعقيب أو نقد.

_ ترتبط كل التسميات بشكل أو بآخر بعلاقة مع المسمى، قد يكون صفة من صفاته، أو لازمة من لوازمه، وهذا ما يجزنا إلى المجاز المرسل.

_ تركيب البنية له علاقة قوية مع التسمية، منها تكرار الحرف دخل الكلمة يفضى بنا الحركة والهيجان.

_ الوقوف على كل الظواهر التي يتضمنها النص، كاللغة أو القراءة القرآنية وغيرهما.

_ تخلل نصوصنا تداخلُ الظواهر، فجاءت ظاهرة التعريب مرافقة لظاهرة التفسير السببي.

الهوامش:

(١) _ الصحاح: ٣٦/١.

(٢) _ أدب الكاتب: ٨٨.

- (٣) _ ينظر: ٢٣٧/١، و: ٢٦٠.
- (٤) _ الصحاح: ٣٧/١.
- (٥) _ جمهرة اللغة: ٢٢٩/١.
- (٦) _ تهذيب اللغة: ٤٢٧/١٥.
- (٧) _ الأحرف السبعة للقرآن: ٤٢.
- (٨) _ الصحاح: ٥٢/١.
- (٩) _ الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ١٥٤.
- (١٠) _ ينظر ديوانه: ٤٩، وصدرة: كأسا فيها صهباء مُعْرَقَةٌ .
- (١١) _ الصحاح: ٥٥/١.
- (١٢) _ العباب: ٢٢/١.
- (١٣) _ الصحاح: ٩٨/١.
- (١٤) _ تهذيب اللغة: ٣٦-٣٧/١١.
- (١٥) _ الصحاح: ١٠٨/١.
- (١٦) _ الزاهر في معاني كلمات الناس: ٤٣٣/١ .
- (١٧) _ تهذيب اللغة: ١٨/٥.
- (١٨) _ الصحاح: ١١٤/١.
- (١٩) _ العين: ٥٣/٣.
- (٢٠) _ الصحاح: ١٣٣/١.
- (٢١) _ غريب الحديث: ٢٦/٢، وينظر: أدب الكاتب: ٨١، وديوان الأدب: ٦٢/٣.
- (٢٢) _ الصحاح: ١٣٣/١.
- (٢٣) _ المجموع المغيـث في غريبي القرآن والحديث: ٧٣٥/١.
- (٢٤) _ تحرير ألفاظ التنبيه: ٣٠٤. الرواجب: قصب الكف، مفاصل الأصابع، بطون السلاميات.
- (٢٥) _ الصحاح: ١٥٧/١.
- (٢٦) _ العين: ٢٦٣/١.
- (٢٧) _ الصحاح: ١٦٣/١.
- (٢٨) _ الصحاح: ١٦٦/١.
- (٢٩) _ الألفاظ: ٢٦٦.
- (٣٠) _ الصحاح: ٢١٦/١.
- (٣١) _ ينظر: ديوان الأدب: ٨٤/٣.
- (٣٢) _ الصحاح: ٤١٣/١.
- (٣٣) _ أدب الكاتب: ٢٤.
- (٣٤) _ الصحاح: ٤٢٥/١.

- (٣٥) _ جمهرة اللغة: ١٠٥٤/٢.
- (٣٦) _ الصحاح: ٤٦١/٢ .
- (٣٧) _ جمهرة اللغة : ١٥٦/١ .
- (٣٨) _ الصحاح: ٥٢٨/٢ .
- (٣٩) _ تاج العروس: ٦٦/٩.
- (٤٠) _ الصحاح: ٥٢٩/٢ .
- (٤١) _ العين: ١٩٧/٥ .
- (٤٢) _ الصحاح: ٥٣٣/٢ .
- (٤٣) _ العين: ٣٧٠/٥ .
- (٤٤) . طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار: ١٥٨.
- (٤٥) _ الصحاح: ٥٨٥/٢ .
- (٤٦) _ النهاية في غريب الحديث والأثر: ٩٩/١ .
- (٤٧) _ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: ٣٩١/٧ .
- (٤٨) _ تاج العروس: ١١٢/١٠ .
- (٤٩) _ الصحاح: ٥٨٦/٢ _ ٥٨٧ .
- (٥٠) _ الأزمنة وتلبية الجاهلية: ٢١ .
- (٥١) _ تاج العروس: ١٣٩/١٠ .
- (٥٢) _ الصحاح: ٥٩٣/٢ .
- (٥٣) _ ينظر العين: ٤٢٢/٧، وجمهرة اللغة: ٣١٥/١، ومقاييس اللغة: ٢٦٢/١ .
- (٥٤) _ الصحاح: ٦١٢/٢ _ ٦١٣ .
- (٥٥) _ العين: ٦٢/٦ .
- (٥٦) _ الصحاح: ٦١٣/٢ .
- (٥٧) _ ينظر جمهرة اللغة: ٤٥٥/١، والمخصص: ١٥/٣ .
- (٥٨) _ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ١٠٨٤/٢ .
- (٥٩) _ الصحاح: ٦٢٧/٢ .
- (٦٠) _ في التعريب والمعرب: ٧٧ .
- (٦١) _ الصحاح: ٦٣٤/٢ .
- (٦٢) _ نفسه: ٦٣٤/٢ .
- (٦٣) _ جمهرة الأمثال: ٤٨٧/١ .
- (٦٤) _ الصحاح: ٦٤٩/٢ .
- (٦٥) _ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ١٩١٣/٣ .
- (٦٦) _ إعراب القرآن وبيانه: ٣٢٤/١ .

- (٦٧)_الصحيح:٦٦٨/٢.
- (٦٨)_جمهرة اللغة: ١٢٢٨/٣.
- (٦٩)_الصحيح:٦٨٦/٢.
- (٧٠)_المصدر السابق:٦٨٦/٢.
- (٧١)_شرح نقائض جرير والفرزدق:٧٠١/٢.
- (٧٢)_الصحيح:٧٣٣/٢.
- (٧٣)_تهذيب اللغة:٢٣٠/٢.
- (٧٤)_الصحيح:٧٥٤/٢.

المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم.

- _ الأُحرف السبعة للقرآن، عثمان بن سعيد الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: د. عبدالمهيمن طحان، الناشر: مكتبة المنارة - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨.
- _ أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: محمد الدالي، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- _ الأزمنة وتلبية الجاهلية، محمد بن المستنير قُطْرُب (المتوفى: ٢٠٦هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.
- الألفاظ، أبو يوسف يعقوب ابن السكيت (المتوفى: ٢٤٤هـ)، المحقق: د. فخر الدين قباوة، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨ م.
- تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: عبدالغني الدقر، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨.
- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.
- _ جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر ابن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م.

- ديوان ابن هرمة ، تحقيق: محمد جبار المعبيد، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد، مطبعة الأدب في النجف الأشرف، ١٩٦٩م.
- ديوان الأدب، أبو إبراهيم الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
- شرح نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنى (برواية اليزيدي عن السكري عن ابن حبيب عنه)، تحقيق: محمد إبراهيم حور، وليد محمود خالص، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة: الثانية، ١٩٩٨م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد اليميني (المتوفى: ٥٧٣هـ) المحقق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإيراني، د. يوسف محمد عبد الله الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
- الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
- طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، أبو عمر، شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: مكتبة القرآن، القاهرة.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر، رضي الدين الحسن الصغاني الحنفي (المتوفى: ٦٥٠هـ).

- ـ العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- ـ غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق (١٩٨ - ٢٨٥)، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥.
- ـ في التعريب والمغرب، أبو محمد عبد الله بن بَرِّي (المتوفى: ٥٨٢هـ)، المحقق: د. إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ـ المجموع المغيـث في غربي القرآن والحديث، أبو موسى الأصبهاني المدني، (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، الجزء ١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م)، الجزء ٢، ٣ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م).
- ـ المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م.
- ـ مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
- ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك مجد الدين الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م